الاثير « فأحضره (المعتضد) بين يديه وقال له أخبرني ، هل تزعمون أن روح الله وارواح أنبيائه تحل في اجسادكم فتعصمكم من الزلل وتوفقكم لصالح العمل ؟ فقال له ياهذا إن حلت روح الله فينا فما يضرك ، وان حلت روح ابليس فما ينفعك ، فلا تسأل عما لاينفعك وسل عما يخصك ، فقال له وما تقول فيما يخصني ؟ قال أقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وابوكم العباس حي ، فهل طلب بالخلافة أم هل بايعه أحد من الصحابة على ذلك ؟ ثم مات أبو بكر فاستخلف عمر وهو يرى موضع العباس ولم يوص له ، ثم مات عمر وجعلها شورى في ستة أنفس ولم يوص له ولا ادخله فيهم ، فبماذا تستحقون الخلافة وقد اتفق الصحابة على دفع جدك عنها ؟ فأمر به المعتضد فعذب وخلعت عظامه ثم قطعت يداه ورجلاه » فهذا الكلام وتلك اللهجة التي يخاطب بها أحد زعماء القرامطة خليفة المسلمين تدل دلالة واضحة على استبسال القوم وجرأتهم في الافصاح عن آرائهم ومذهبهم ، وقد ظل القرامطة بعد المعتضد في حروب مع المكتفي ومن بعده من الخلفاء طوال القرنين الثالث والرابع الى قبيل منتصف القرن الخامس يهزمون ويهزمون ، حتى دوخوا الدولة وشقيت بهم الناس ، وعانت الدولة العباسية في سبيل قمع حركتهم جهدا كبيرا ، وشغلوا بحركاتهم الهجومية جانبا عظيما من وقت الخلفاء فجندوا لهم الجيوش يقاومون دعوتهم الجريئة وخروجهم عليهم ، وكثيرا ما انهزمت جيوش الخلفاء أمام جيوشهم واستماتتهم في الدفاع ، وكم من غنائم ظفروا بها وارواح اودوا باصحابها ؛ وكم من اسرى قتلوهم وصفدوهم بالاغلال . وأظهر ما في تاريخهم في تلك السنوات العديدة أعمالهم الوحشية واتخاذهم القتل والتعذيب وسيلة الى دعوتهم ونشر مذهبهم ، واشنع من ذلك اعتداؤهم على قاصدي بيت الله يقتلونهم ويسلبونهم اموالهم وينشرون الرعب في القلوب حتى قل زائرو الكعبة وانقطعوا عن الحج في بعض السنين ، وقد سودوا صحيفتهم بالاعتداء على الحجر الأسود ونقله إلى أحد حصونهم حيث بقي فيه نحو اثنتين وعشرين سنة .

هذه الفئة التي اجملنا تاريخها الى عام ٤٣٦ وفيه أوقع صاحب ماوراء النهر بجموعهم وكتب الى سائر البلاد بقتل من فيها منهم والذي اسرفنا في اجماله حتى لا يمل القارىء من تفصيل الحروب وكثرة المواقع ، هذه الفئة هي التي ازدادت شوكتها قوة وامرها خطرا وسدرت في اعمال القتل والنهب وامعنت في تعاطي الحشيش واستمرأت خداع الناس وفتنتهم عن دينهم ، وذلك بظهور الحسن ابن الصباح وتوليه زعامتها عام ٤٨٣ هـ فجعل منها عصابة سياسية مجرمة دينها أن تعيث في الأرض فسادا تقتل وتنهب وتقلق الوادعين . تلك هي طائفة الحشاشين في نهاية القرن الخامس الهجري ، وقبل أن نشرح أعمالها تكلم عن زعيمها هذا وكيف وصل الى زعامة القوم فهوى بهم الى الحضيض الاسفل من الاخلاق والسلوك .

« للبحث بقية »

محمد قدري لطفي
ليسانسيه في الآداب

٢ — تولستوى

اجتماعياته

— ٣ —

لن يحقق هذا حلم مؤتمرات تعقد ومعاهدات تمضى أو نظم تعدل وقوانين تفرض .

وإن مؤتمراً يجتمع ويتلوه مؤتمرات أخرى لا تحل مشاكل العالم . وإن سكنت ألم الانسان الى حين ، والمعاهدات قصاصات ورق لاتغير شيئا ولا تدفع مضرة ، ولا تخفف من البؤس الواقع حزب اشتراكي يتولى أو حزب محافظ يتحكم . فليس معنى ذلك الا أن طبقة حلت محل أخرى . وأفراداً استبدل بهم أفراد . وليس معناه الا أن يبقى النظام الحالي بضرائبه المرهقة وحواجزه الجمركية المشتطة وميزانيته العجيبة ينفق ثلاثة أرباعها على اعداد الجيوش وتجهيز الحروب .

إن الاصلاحات التي تفكر فيها الجماعات الحديثة من تحديد ساعات العمل أو تنظيم علاقات المالك والاجير على ما فيها من الفائدة لا تجتث الشر من أساسه . فكيف الطريق إذن ؟

أثورة دموية لا تبقي ولا تذر ؟ تراق فيها دماء الطبقة الحاكمة ويزهق فيها أرواح الأغنياء . ؟

ولكن تولستوى كان آخر من يدعو الى العنف وآخر من يفكر في مقابلة الشر بالشر .

ان التعاون لا يمكن أن يقوم على سفك الأرواح . والرخاء من المستحيل أن يعتمد على أسنة الحراب . وما كانت الانسانية التي بشر بها تولستوى ليكون الطريق اليها مغطى بالدماء حافلا بأنين المجروحين وجثث القتلى .

لقد قامت الثورة الفرنسية باسم أشرف المبادىء الانسانية وعلى أكتاف أشد الناس حماسة واخلاصا . وحسب الناس أن نوراً جديداً قد اشرق يلوح بالسلام المنشود والهناء الدائم . ولكن الثورة الفرنسية لم تنجح كثيراً . ولم تفعل رغم الادعاءات العريضة التي بشرت بها الا أن تحل طبقة محل أخرى وتستبدل اسما باسم وملكية بجمهورية .

وفشلها راجع إلى أنها قامت على العنف واراقة الدماء . إن الشر لا يجب ان يقابل بالشر ، وإن أكبر ما يعاب على المجتمع الحالى اعتقاده أن الثورة الدموية هى الطريق للخلاص ، وان الحرب شر لابد منه . وأن القتال قانون طبيعى لولاه لازدحم العالم بالسكان ولما وجدوا قوتا يكفيهم . وليس أسخف من هذا الزعم زعم . فان أشد ما يغتر به الفرد هو حياته ، وأقدس واجب لديه هو المحافظة على هذه الحياة والعمل على ابقائها . وأكبر أمنية للانسان هو الخلود أو العيش الى أطول العمر ، فتناقض إذن ان تزعم ان قانون الحياة هو الموت أو ان من الضرورى ان يقتل الأخ أخاه .

لقد دعا تولستوى الى السلام والاخاء الانسانى . وأهاب بالانسانية القضاء على التسلح والمقاومة .

وقد يبدو أن هذا أمر ثانوى لا علاقة له باصلاح العالم . ولكن ليعتقد الافراد جميعا ان الشر هو فى الحروب . ، ان يؤس الانسانية راجع الى العنف والاستبداد ، وليؤمنوا بالسلام وضرورته ، وستسقط بطبيعتها جميع النظم القائمة . فلن تقوم حكومة من الحكومات الا إذا استندت الى إرادة الشعوب ، ولن يوضع قانون الا اذا رغب فيه الافراد . ولن تسير دفة عمل من الاعمال الا اذا كان قائما على التعاون والاشتراك . ولن تجد نزاعا بين دولة وأخرى الا ويقضى فى بضعة أيام عن طريق التحكيم . فتولستوى يرى من العبث التفكير فى كيف تكون الحكومة . أو على أى أساس تشرع القوانين . إذ الحكومة لديه ليست الا مجموعة افراد والقوانين ليست الا من وضع بضعة افراد . والدولة لا معنى لها لا مجموع افرادها ؛

فى إصلاح الفرد وحده . وفى الارتفاع بعقليته والسمو بنفسيته أساس المدنية المستقبلة . ماذا يجدى ان تصلح من شأن حكومة ، اذا كان القائمون بها هم هم لم تتغير نفوسهم

لن يجدى هذا نفعا . ولكن يكفى ان يعتقد كل فرد بوحشية الحروب فى سبيل قطعة أرض أو من أجل شهرة وطنية كاذبة . ويكفى أن يمسى هذا الاعتقاد عملا حتى يشرق الصباح عن اختفاء اله الحرب من الارض

ويمكن — اذا آمن الناس بضرر الفروق الاجتماعية بين الطبقات وما يساعد على ابقاء هذه الفروق من قانون الوراثة ونظام الملكية — أن تختفى الملكية فجأة وتحل المساواة بين البشر .

ولا شك أنه لو أيقن كل إنسان أن سعادته فى خدمة أكبر مجموعة إنسانية يستطيع خدمتها لانهارت من أساسها مانسميها الوطنية التى تراق من أجلها الدماء وتزهق تحت علمها ملايين الارواح . ويجر باسمها الخراب والدمار والارتباكات المالية والاقتصادية .

فلتقم الشعوب . لا . بل لتقم طائفة منها تعلن أن كفاهم رياء وخداع ، وانهم لن يخضعوا الا لما توحيه اليهم ضمائرهم ، ولن يعملوا الا ما تحتم عليهم عبادتهم . فلا يذهبون الى قتال يعتقدونه شرا ولا ينفذون قانونا لا يرون فيه خيرا . ولا يدفعون ضريبة لا معنى لها . ولا شك أن كل مساوىء العهد الحالى تصبح فى خبر كان

ان للرأى العام قوة عظيمة تسير الحكومات والدول . فاذا ما أراد الرأى العام شيئا فهو واصل الى ما يريد . والرأى العام ساخط متذمر من النظام الحالى وهو يريد أن يعمل شيئا ، ولكن لا يعرف ما يريد ولا يدرى ماذا يعمل .

قد تسأل : ومن له الشجاعة ليقوم بهذه الدعوى ومن له الاستعداد لما قد تجره عليه من اضطهاد وسجن وتشريد ؟

ولكن تولستوى يعجب : لماذا تنتظر الانسانية منقذا من السماء أو مسيحا يهبط الى الارض .

إن نفسية الجماعات الحالية لا تحتاج الا الى بضعة أفراد بل فرد جرىء يرشدها الى طريق العمل حتى تقوم قومة رجل واحد .

— ٤ —

إن صلاح نفوس الافراد وتربيتهم من أخطر ما يدعو اليه تولستوى ، وهذه التربية إما أن تتناول الصغار أو الكبار . فهى للكبار

بث العقيدة الانسانية فيهم واقناعهم ان لا فائدة تعود عليهم من حرب ضروس ، والاهابة بهم الى نبذ العنف واحلال الوئام والصفاء .

وأما تربية الصغار فهى أجل وأعظم شأنا .

ولقد سدد تولستوى الى التربية الحديثة سهاما مسمومة . وكال لها تهما شنيعة ، وليس يعيبه من أمر المدرسة علوم تحشى بها أذهان الطلبة المساكين ولكن يعنيه روح التربية .

فالتربية الحديثة تساعد احط الغرائز على الظهور والسمو ، فهى تبعث التنافس والغيرة والحقد فى نفوس الاطفال وتشبعهم بفكرة العقاب والثواب ، وتلقى فى روع الطفل الانانية وحب الفوز على أكتاف اخوانه من التلاميذ . فهو يهنأ على تقدمه عليهم ، ويكافأ اذا بذهم وفاقهم

وهى فوق ذلك تربية عسكرية تهمل شخصيات الاطفال اهمالا وتزعم أنها مستطيعة ان تشكل عقليات متغايرة تشكيلا واحدا . وهى مضطرة فى سبيل هذا ان تخضعهم لنظام معين وتجبرهم بالقوة على التزام حركات خاصة والجلوس فى غرف ضيقة مما ينفر الطفل من المدرسة والمدرسين ، ومما يكبت فيه ميوله الطبيعية ومواهبه .

إن الطفل له شخصية قائمة . وليس يتاح لأى مدرس ان يفهمه على حدة فيعرف مايلائمه وما لا يلائمه . والمدرسة الوحيدة التى يمكن ان ينال فيها الطفل تربية صحيحة هى البيت .

نعم هى منزله . حيث يجد الحنو والشفقة الابوية . وهى مسكنه حيث تراعى ميوله وحيث يفهمونه فهما حقا . وبذا يرفع تولستوى من شأن التربية المنزلية ويجعلها فى المكانة الاولى . وقد جره هذا . إلى البحث عما إذا كان البيت والعائلة الحالية يصلحان مكانا لتربية الاطفال .

وجوابه أن لا

فنظام الزواج الحالى نظام عتيق فاسد ، والعلاقات العائلية اليوم كبقية العلاقات لا تستند إلا على الرياء والعنف . فالمال يتحكم تحكما فى العلاقات الزوجية . والرجل الغنى هو كل شىء فى الزواج الحديث . مهما كان أو مريضا ، ضعيفا أو منحطا . فهو يرحب به لأنه ذو مال . لأنه أقدر من غيره على الانفاق . والفتاة الحديثة لاتكاد تفهم مهمتها التى خلقت من أجلها . والزوجات يرون فى الالتصاق بالبيت عاراً أو تأخراً . بل يحسبن فى الاطفال عبئا ثقيلا لا يتفق والسهرة ومحال الرقص . ولا ينسجم والرقة والأناقة . ومن هنا دعا تولستوى إلى هدم نظام الزواج هدما يتناول الاساس

فالأم كما يرى تولستوى يجب أن تختار لابنتها زوجا قوى الجسم ممتلىء الصحة محبا للعمل ناسية مكانته الاجتماعية غير ناظرة إلى جيبه انتفخ بالاوراق المالية أم لم ينتفخ .

والزوجة يجب أن تؤمن بأن عظمتها فى المنزل . وفى انشاء طفلها الذى قد يتحكم يوما فى مصير العالم . وهى اذا كانت قد تلقت أرقى العلوم فلكى تحسن ادارة بيتها . وهى ان درست ووقفت فى الدرس فلكى تجيد تربية طفلها . فالمرأة فى يدها مستقبل هذا العالم .

ولكن أى امرأة ؟ ليست هى هذه المرأة المستهترة ، ليست هى سيدة الصالونات . ولكن ربة البيت والام الرحيمة تنشىء أطفالها على حب السلام وحب الآخرين . وتربى فيهم كراهية الشر ومقت العنف

***

لقد نادى تولستوى بكل هذا فى اخلاص وايمان وبعد تفكير طويل وتدبر ليس بالقليل ، وقد توافق على دعوته وقد لا توافق . وقد تحسبها الحكمة بعينها أو خيالا متطرفا . ولكن لا يسعك الا أن تعجب بالرجل وأن تعجب باخلاصه ، وان تجد أيضا فى دعوته الحق أو بعض الحق

ولعلك تشتاق بعد هذا الى معرفة شىء عن حياة تولستوى أو فهم الظروف التى أحاطت به فخلقت منه رسول السلام والانسانية على الأرض . هذا ما قد نكتب فيه مرة أخرى .

شهدى عطية الشافعى
بكالوريوس آداب

ظهر حديثا

أبو على عامل أرتست

مجموعة من القصص المصرية العصرية

للاستاذ محمود تيمور

يطلب من المكاتب الشهيرة وثمنه خمسة قروش صاغاً